من مظاهر الحياة في لندن

المتاحف في لندن

بقلم : الاستاذ يوسف محمد كيه

×

ما ابدع الفن حين يجمع بين الطارف والتليد ، وما أبهى المتاحف حين تريك أدق ما في الكون من امور ، وابرز ما في الحياة من آثار .. من أتفه الاشياء الى أثمن الكنوز فتحكي المراحل المتابعة للحضارة البشرية ، خلال تخطيها قرون التاريخ . هذا ما يتوفر للانسان عند زيارته للمتاحف في لندن .

في لندن كثير من المتاحف الضخمة التي يفخر كل منها بما يحويه من المعروضات الفريدة والآثار المهمة : من مجموعات جمالها يأسر اللب ، وروعتها تبهر الابصار ، حيث تتمثل بها الصور الواقعية لتطور العقل البشري ، ومراحل حياة الانسان منذ اقدم الازمنة حتى اليوم ، بما فيها من خرافات وأساطير ، وعادات وتقاليد ، وعبادات وطقوس وعلوم وفنون .

ومن جملة المتاحف : المتحف البريطاني ، والمتحف الامبراطوري ، والمتحف الهندي ، ومتحف التاريخ الطبيعي ومتحف الحرب ومتحف العلوم ، ومتحف الهندسة المعمارية وغير ذلك ، وتتقارب بعضها من بعض في منطقة تقع في قلب لندن ، تعرف بحي (ساوث كنزكنتن) عدا المتحف البريطاني فهو يقع في [رسل سكوير] الحي الذي يفخر بما يحتضي من جامعات ومكتبات ، ودور للثقافة والنشر والطباعة ، وفي البحث التالي نظرة موجزة يلم بها القارئ الكريم عن اختصاص كل منها ، ولعل في التسمية ما يدل على اختلاف المتاحف فيما تشتمل عليه من آثار وما تحويه من معروضات .

١ ـ المتحف البريطاني

دهشة تستولي على الانسان ، وحيرة تمتلكه عندما يدخل المتحف البريطاني لأول مرة . فلا ينفك يقلب النظر في دقة الفن ومهارة الصنع التي قام على دعائمها بناء المتحف فجاء آية من آيات الهندسة المعمارية ، واثراً من الآثار الخالدة في طراز البناء ولم يعتصم هذا الأثر من غارات الالمان في الحرب الاخيرة ، فعصفت قنابلهم باحدى واجهاته والحقت ببنائها بعض الاضرار . اما الآثار المعروضة فيها فقد حفظت ، ولم يعد بامكان الزائر ان يجوب كل ما في المتحف من قاعات . ولم تزل اعمال الترميم مستمرة لاعادة المتحف الى رونقه القديم .

ولعلي لا أخطئ اذا قلت ان الزائر ليقف مبهوتاً ، لا يدرك كم من ملايين الدنانير صرفت في سبيل هذا المتحف وكم من الجهود بذلت في اقطار المعمورة وكم من صعاب ذللت للحصول على تلك الذخائر الفنية ، واكتساب تلك النفائس التي عز نظيرها ، فاحتلت مكانها في قاعات المتحف الذي يزيك بحق عظمة بريطانيا . متحف يجمع ما في المتاحف من آثار ، ويضم ما في العالم من كنوز تقرأ في قاعاته تاريخ امم الارض المنقرضة والتي لا تزال تمثل فصولها على مسرح الحياة ، عادات البشر ، وطبائع الجماعات ، والطقوس الدينية لمختلف الشعوب ، الأفراح ، والاحزان ، الحروب والسلام ، تقرأها بالاحجار الصامتة مجسمة في صور ، وموضحة في رسوم وبارزة في آثار .

في مدخل المتحف يهولك المطالعة ، المكتبة التي لا تضاهيها أية مكتبة في العالم .

قاعة المطالعة ذات نوافذ زجاجية عالية ، تزين جدرانها اسماء ابطال الفكر ، وصور رجال العلم من الانجليز وغيرهم . ومع العلاقة المفروضة بين المتحف ومكتبته ، فان زيارة المتحف مباحة لكل زائر في الايام الاعتيادية دون اجور . ولكن ارتياد المكتبة ، وقاعة المطالعة فيها ، مقصور على المطالعين من المؤلفين والمتتبعين والاساتذة والعلماء !!

تترك البهو الكبير الى طوابق المتحف فماذا ترى .. ؟؟ قاعات كثيرة تستدعي التأمل ، وابهاء عديدة تقتضي

الاستعراض لما تجد فيها من المعروضات التي استقدمت من الشرق والغرب ومجاهل الكون ، من الآثار المختلفة النادرة ، والفنون القديمة ، والمخطوطات الآثارية ، والكتب والرسائل ، وشتى المصنوعات ، والمصوغات ، والاسلحة الذهبية والخزفية والبرنزية ، وكل ما يختص بحضارات الانسان ، ففي قاعة واحدة او اكثر من تأريخ امة من الامم ، والزائر بتكراره لاستعراض الصالات ، وتأمل المعروضات التي روعي في ترتيب محتوياتها الرائعة ، تدرجاً تأريخياً فذاً ، يستطيع ان يستوحي فكرة شاملة عن أي شعب من الشعوب في العالم المتوحش والعالم المتمدن . الفراعنة ، العرب ، الفرس ، الصينيون ، الرومان ، اليونان ، الزنوج ، الهنود ، الاسكيمو ... الخ . واليك ما في بعض القاعات :

تماثيل ضخمة ، مجنحة وغير مجنحة ، واصنام متنوعة كبيرة جداً . واجراس الكنائس هائلة كأنها قباب في صالات المتحف وعلى مدرجاته العريضة يستشعر الناظر اليها عظمة المتحف بوجودها ، ويعجب كيف رفعت الى تلك القاعات العالية ، والردهات الشاهقة التي يرتقي اليها بالمصعد الكهربائي عشرات الدرجات . والمصعد الكهربائي البرنزي في المتحف ، هو في حد ذاته ، تحفة المتحف لما فيه من زخارف ساجرة ونقوش . .

عروش الاقاصرة ، حياتهم الرياضية ، العابهم ، عبادتهم ، اسلحتهم ، حروب طروادة منقوشة على الاوانى والصحون ، الاغريق بتماثيلهم الرخامية والمرمرية وتحتهم ذو الجمال الخاص الذى يميزه على منحوتات سائر الشعوب الأخرى .

حياة الفرس ، تيجان الاكاسرة ، فنهم ، وسائل دفاعهم طبهم يمثل بالخرز والتعاويذ .

الآثار المصرية .

الفراعنة ، بجثثهم المحنطة لم تزل تحتفظ بشكلها موضوعة في توابيتها المزركشة البديعة . المومياء . حجر رشيد ، رموز الكتابة الهيروغليفية ، مئات من النقوش والصور تمثل الرقص المصرى القديم . الشرق الاقصى ، الصين ، بحضارتها العريقة في القدم ، ثريات معلقة ، وقناديل للانارة تدل على فن جميل وذوق رفيع ، قوارب ومجاذيف كان يستعملها الصينيون في سفراتهم وتجارتهم وصيدهم معدات الحرب ، الاسلحة والاواني ، والالات والعدد ، تتدرج مع البشرية منذ أقدم العصور ، النسيج : تطور الحياكة بمنسوجاتها المتنوعة بما سبق منها وما تأخر . كيف توصل البشر الى صنع اللباس ، البسة مختلفة ، حلى فضية وذهبية ، وبلورية عديدة الاشكال كانت تستعملها النساء في تلك الاحقاب . محتويات تتعدى الحصر وتفوق حد الوصف ، في جمعها وترتيبها والمحافظة عليها عمل من الاعمال الجباره . .

ومن الكتب النادرة والمخطوطات الآثارية ، يضم المتحف أقدم نسخة خطية في العالم من العهد الجديد (الانجيل) وبه نص كامل لانجيل متى ، يرجع عهده الى منتصف القرن الثالث للميلاد . وكذلك اول انجيل طبع باللغة الانجليزية في سنة ١٤٥٦ ميلادية وعن تلك النسخة ظهرت التراجم العديدة بمختلف اللغات ، وانتشرت في شتى الانحاء

المغنا كارتا بكامل نصوصها . مؤلفات الشاعر (شكسبير) والشاعر (ملتن) الطبعة الاولى من كل نسخة : رسائل الملوك وعظماء التاريخ بتواقيعهم ، يوميات نلسن يصف حياته وحروبه ، ومجازفاته في موقعة الطرف الأغر وغيرها .

عدة مصاحف مخطوطة ، جميلة الخط مزركشة الغلاف حوت معجزات الفن ، وروائع النقوش يرجع عهدها الى العصور الاسلامية الاولى ، تقرأ بالرقعة الموضوعة امامها في اطار جميل . تاريخ النسخة ، اسم كاتبها ، اسم المالك الاصلي لها تاريخ انتقالها الى المتحف ، بالاهداء او الشراء

في بعض الردهات مخلفات لما قبل الميلاد ، وما قبل التاريخ ، معروضات من العصر الحجري والعصر البرنزي والحديدي . بقايا الانسان القديم ، آثار البشرية الاولى .

قاعة للمجوهرات تماثيل من الذهب مطعمة بالاحجار

الى البطل الامير عبد الكريم الخطابي

كمعجزة !

للأستاذ ابراهيم مجاهد الجزائري المحامي

بينما كان ينقل البطل الاسير
من منفاه ، في المياه الغريبة الى منفى آخر
أدهى وأمر ! . .
تجلت في المياه ـ كمعجزة ! ـ يد الله ..

***

حولت مجرى السفينة
نحو المياه ، الامينة
نحو المياه ، الحبيبة !
مياه مصر ، العزيزة

***

حيث رست ونزل منها البطل : [الامير عبد الكريم]
بأهله وذويه حراً طليقاً في حمى الفاروق

***

في ذمة الله ، تلك الرفاة الحزينة
التي تخلفت في السفينة
تلك المرأة المثلى : أم البطل عبد الكريم !
التي كانت قضت شهيدة ، في المنفى ..

***

ثم نقلت رفاتها الغريبة بدموع وخشوع !..
لتوارى في ترابها
في بلاد آبائها ، بالريف المغربي ...
في ذمة الله ، تلك الوالدة الشهيدة .
التي كانت تطل بروحها
من وراء رفاتها ، في السفينة
ومن جوار ربها ، في الجنة !
على القافلة الحبيبة : أبنائها ورفاقها في المنفى
إذ كانوا يهبطون (مصر) آمنين
ومودعين رفاتها ، لصيانة رب العالمين .

***

في ذمة الله ، تلك الام العظمى
التي امست تطل ، اليوم ، من مثواها ، الجديد
على ابنائها في مصر وابناء العروبة في كل قطر
الى ان يأذن الله بالنصر

حلب — ابراهيم مجاهد الجزائري

الكريمة أواني بلورية مذهبة ، قلائد ، أقراط ، معاصم مجرة من الزجاج مطعمة بالماس . أدوات أخرى عديدة ثمنها الآثاري أغلى بكثير من كونها ذهباً ومجوهراتاً .

والقسم الخاص بحضارة الرافدين ، يحتل عدداً من القاعات ، ويجمع في معروضاته بين المدنيات المتباعدة في التاريخ بمجموعات كثيرة من التماثيل والنقوش والزخارف والصحون ، والالواح التي وجدها الاثريون من مدينة بابل وآثار حمورابي عدد هائل من اللوحات التي يدل رسمها انها من مكتبة آشور بانيبال .

والعربي حين يستعرض تلك الآثار التي تحكي الحضارة الشرقية فيما بين النهرين يدرك كم يضم المتحف البريطاني من آثارنا المفقودة ، وتراثنا الخالد ، فيتمنى لو تكون تلك القاعات في عاصمة الرشيد ، لتربط حلقة الاتصال للتاريخ القديم الزاهر بالعصر المتأخر الحاضر ، فتكون عظة وذكرى .! ولكن — التمني رأس مال المفلسين — على حد قول بعض المتشائمين !

والخلاصة فان المتحف البريطاني ليس ككل المتاحف اذ هو جدير ان يكون متحف المتاحف ليس في ذلك شك والزائر لا يكتفي من زيارته بساعة أو ساعتين . فهو حين يتنقل بين قاعاته يشعر كأنه يطوف حول الكرة الارضية ويتقلب في ثنايا التأريخ .

هذه هي الصورة التي انطبعت في ذهني عن المتحف البريطاني صورة لا تخلق جدتها الايام .

« يتبع »

كربلا — يوسف سلمان كبه